

مفتاح السعادة والنجاح

المعلم برمهנסا يوغانندا

الترجمة: محمود عباس مسعود

لقد ترك الإنسانُ اللهَ وذهب بعيداً عن منبع السعادة ومصدر النعم. ولا سبيل للخروج من وادي الدموع والوصول إلى مرفأ السلام وبر الأمان إلا بالعودة إلى الله. الناس يبحثون عن المال بكل الوسائل والطرق، ولكن حتى لو أصبح كل إنسان مليونيراً لاستمرت مع ذلك المتاعب والأحزان لأن لا قدرة للمال على شراء السعادة الحقيقية النقية. تلك السعادة تأتي بالمحبة الإلهية والممارسات الروحية والنية الصافية والتوجه إلى الباطن بحثاً عن السلام والطمأنينة. ممارسة التأمل هي شرط لازم لبلوغ السعادة. وحتى إن لم تشعر بحماس في البداية، فإن واطبت على الممارسة ستشعر أخيراً بذلك الشوق العجيب لله الذي هو ضروري إن كنت ترغب حقاً في العثور عليه. لم أعتز على السعادة إلا في التواصل مع الله. لقد آن الأوان للإنسان أن يبذل المجهود لمعرفة خفايا الوجود.

من أين تبرز على الدوام كل الأشياء الرائعة في الخلقية؟ ومن أين تأتي عقول العظماء؟ الجواب هو: من مستودع الروح اللانهائي. وإن لم تستحسنا عجائب الخليقة من حولنا للبحث عن الله فلماذا يظهر ذاته لنا؟ لقد وهبنا الله القدرة على المحبة علنا نتوق إليه ونحبه أكثر من أي شيء آخر في الكون. يجب عدم إساءة الإنسان لنعمة العقل والمحبة، وعدم استخدام الذكاء للتركيز على الأمور الزهيدة والجري وراء الغايات الكاذبة.

يجب أن نفكر بالله وأن لا نخلد للنوم في الليل قبل التأمل العميق عليه والتناغم الودي معه. ليلة أمس عندما استويت في سريري للتأمل غمرني حضوره. فالحجرة بكاملها وكل محتوياتها أصبحت نوراً وهاجاً يخطف الأبصار. وحتى عندما نمت بقيت آناً مطمئناً بين ذراعي المحبوب الإلهي، ولم أشعر بمثل ذلك السرور من قبل. لقد خلق الله كل شيء من نوره، وذلك النور الإلهي هو وحده حقيقي. يجب أن نستيقظ من هذا الحلم الكوني كي ندرك أننا أشعة من ذلك النور الخالد. هذه المعرفة يمكن الحصول عليها بممارسة الكريا يوغا أو الحنين المتعاطف لله وليس عن طريق الدروس والمحاضرات.

السياسيون عاجزون عن تخليص العالم من بؤسه وشقائه. المعرفة الإلهية وحدها قادرة على تغيير الأمور نحو الأفضل. الله هو غايتنا القصوى ويجب أن نواصل السير حتى بلوغ تلك الغاية الشريفة. مهما كان الطريق الذي يسلكه الإنسان إلى الله والطريقة التي يتبعها فإنه واصل إلى هدفه المقدس ما دام صادقاً في عبادته، محباً لإخوته في الإنسانية، و متمنياً الخير للجميع كما يتمناه لنفسه ولحبيه.

يجب أن لا ننتقد أديان الآخرين بل نحمل شعوراً صادقاً من المحبة والإحترام للجميع. ويجب أن نبصر الله في كل معبد ومسجد وكنيسة ومزار لأنها كلها بيوت الله. الوقت ثمين ويجب عدم تبديده على الأمور السطحية. إن كل ما تبحث عنه موجود في داخلك، وإن أحسنت التناغم مع روحك ستشعر بفيض من الحب والسعادة والأمن والأمان. إن لم تبذل المجهود الذاتي فلن يستطيع أحد أن يمنحك الخلاص. المعرفة اليقينية والإختبار الشخصي هما شرطان أساسيان للخلاص.

لماذا لا يستطيع الإنسان رؤية الله والملائكة والقديسين؟

ستحصل على الأجوبة إن ثابرت، وستتمكن عندئذ من التحدث إلى الله وملائكته وقديسيه حديث القلب للقلب. إن رغبتى الوحيدة تكمن في مساعدة الراغبين الجادين في اختبار ما اختبرته بنفسى. غاية الحياة هي العثور على الذات الإلهية. يجب أن نشعر بنبض المحيط الكوني في قلوبنا. إن الله يثمن طالبيه ويستجيب لهم بكل تأكيد. ومتى حصلت الإستجابة ستولي المخاوف دون رجعة. يجب أن نعثر على تلك القوة المباركة علنا نشعر بأوقيانوس الحب الإلهي خلف وعينا وبذلك نحرز أعظم نجاح يمكن لأي إنسان أن يبلغه. عندما يثابر المرید على التأمل سيبصر الله ذات يوم في كل مكان ويشعر بينبوع روحه الخالد وغبطته متدفقان في نفسه على الدوام. تلك هي الطريقة الوحيدة للإفلات من كوابيس العالم والوصول إلى بر الأمان. يجب أن نبتهل من أعماق قلوبنا كي يأتي إلينا الله ويظهر ذاته لنا. يجب أن نغمر عقولنا به وسنحس عندئذ بقربه ونقيم معه في فردوس السعادة الروحية إقامة دائمة.

تعريف النجاح

كل واحد يسعى إلى النجاح، ولكن من المستحسن أن يستعمل التمييز بين ما هو ضروري وما هو غير ضروري. النجاح ضروري كي يتمكن الشخص من امتلاك ضرورات العيش من طعام وملبس ومأوى وصحة. فإن لم يمتلك هذه الأشياء ولو بنسبة ضئيلة فهو في وضع يائس بانس. يجب أن يتمكن المرء من الحصول على حد أدنى من الراحة والسعادة اللتين يبحث عنهما. وسواء كان الشخص روحياً أم مادي الطباع فلا خلاف على وجود بعض الحاجيات الأساسية التي ينبغى الوفاء بها بحيث يتمكن من الإحتفاظ بجسمه سليماً ومعافى. إذ من الصعب تحقيق النجاح في غياب الصحة البدنية والعقلية. لكن ما هو النجاح الحقيقي؟ فلو حصل الشخص على كل ما يريده في الحياة سيظل يشعر مع ذلك بفراغ لأنه روحاً والأشياء المادية لا قدرة لها على منحه السعادة التي هي حالة نفسية أولاً وقبل كل شيء.

الطفل قد يتصور النجاح على أنه امتلاك العديد من الألعاب والدمى، وربما سيارة صغيرة أيضاً كي يركب فيها. الطفل الفقير قد ينظر إلى النجاح على أنه امتلاك بعض

النقود لشراء ما يحلو له، في حين قد يتبرم الطفل الغني بما لديه من ألعاب ولا يعرف الراحة النفسية. وقد يصبح من الصعب إرضاء ذلك الطفل لكثرة الأشياء التي بين يديه. عندما يتقدم بنا العمر نضحك على رغبات الطفولة. حتى الكثير من الأشياء التي يعمل الكبار من أجل الحصول عليها اليوم تفقد رونقها غداً أو بعد غد لتحل محلها رغبات أخرى جديدة. لنا القدرة على إسعاد أنفسنا مثلما لنا القدرة على إتعاس أنفسنا. ومفتاح النجاح والسعادة يكمن في داخلك. قد تكون سعيداً في بيتك الصغير المتواضع أكثر من الملك في قصره الضخم الفخم. من يطلب النجاح والحبوحة خارج نفسه ليس ناجحاً ولا سعيداً. هذا لا يعني أن المليونير غير سعيد، بل المقصود هو إن تمكنت من استخلاص السعادة من الحياة، سواء كنت فقيراً أم غنياً فأنت ناجح بكل المعايير. النذة التي تدوم للحظة وتترك في أعقابها حسرة وندامة ليست سعادة. في النجاح الحقيقي تبقى ذكرى تحقيق النجاح حية حتى لو تلاشى إحساس البهجة بالإنجاز. إن كل الأشياء الطيبة التي فعلها ويفعلها الإنسان في حياته تحيا للأبد في الذاكرة كفرح دائم. ذلك هو النجاح الحقيقي الذي يحرزه الإنسان في حياته.

النجاح ليس شيئاً بسيطاً، إذ لا يمكن قياسه بثروة الإنسان أو ممتلكاته. معنى النجاح هو أعمق من ذلك بكثير. النجاح الفعلي يمكن قياسه بقدرة الشخص على أن يكون سعيداً تحت كل الظروف.

الطفل غالباً ما يقتنع ببعض الأشياء الصغيرة، لكن عندما يكبر يرغب في امتلاك أشياء كثيرة من فيلات وسيارات مع أنه يعلم أن أصحاب تلك الأشياء ليسوا بالضرورة سعداء. الرضاء يكمن في العيش البسيط والأفكار الرفيعة. فالذي يُبقي عقله في عالم المثل -عالم الأفكار السامية - يشعر بسعادة أكبر مما لو حصر أفكاره بالأمر المادية لا غير. عندما يكون ضميرك راضياً مرتاحاً، ولا تكون متحيزاً لأحد أو مجحفاً بحق أحد، وعندما تكون إرادتك صلبة ومرنة في آن، وتمتلك إحساساً مرهفاً وتمييزاً صائباً، وعندما تقدر على تحصيل ما تحتاجه بطرق شريفة ومشروعة، فأنت من الناجحين.. وبالله التوفيق.

والسلام عليكم أصدقائنا الأعزاء وجميعكم من القلب أينما كنتم.

